مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية
ISSN 2170-0370/E-ISSN 8127-2710
المجلد (12) العدد (1) – 2021،ص ص(298-321)

أثر الحضارة الإسلامية على الثقافة الصحية في أوروبا خلال القرون الوسطى

The impact of Islamic civilization on healthy culture in Europe during the Middle Ages

د. طاهري لخضر بن العيد[1]*

[1] جامعة زيان عاشور الجلفة (الجزائر)،tahribl@gmail.com

تاريخ الاستلام : 2020/09/28 ؛ تاريخ القبول : 2020/12/06 ؛ تاريخ النشر : 2021/01/13

الملخص

كانت الحضارة الإسلامية رائدة في الطب خلال العصور الوسطى، فبينما كان الطب الأوروبي في العصور الوسطى غارقا في الخرافات والتعاليم الجامدة للكنيسة الكاثوليكية، أدى ظهور الإسلام في القرن السابع الميلادي إلى نمو واكتشافات مثيرة للإعجاب في العديد من المجالات العلمية، وخاصة الطب. قام العلماء والأطباء المسلمون بترجمة النصوص الطبية من جميع أنحاء العالم المعروف، بما في ذلك الإغريق والرومان والفرس والهنود. ولم يكتف الأطباء المسلمون بجمع هذه المعرفة وترجمتها إلى اللغة العربية، بل أضافوا ملاحظاتهم وأساليبهم الطبية. وطوروا تقنيات جديدة في الطب والتشريح والجراحة وعلم الأدوية. وأسسوا المستشفيات الأولى، وعملوا على تدريب الأطباء وكتبوا موسوعات عن المعرفة الطبية. وبهدف التعرف على مساهمة الحضارة الإسلامية في تطوير ونشر السلوكيات الصحية بين الأوروبيين. ومن أجل التعرف على مدى مساهمة الحضارة الإسلامية في تنمية وانتشار السلوكيات الصحية لدى الأوربيين. نرى أن المنهج المناسب لتحقيق هذا الهدف هو المنهج الوصفي التحليلي، بالنسبة لأدوات الدراسة تم

Abstract

The Islamic civilization achievements in medieval medicine were groundbreaking. While medieval European medicine was still mired in superstitions and the rigid Catholic teachings of the Church, the advent of Islam in the 7th century A.D. gave rise to impressive growth and discoveries in many scientific fields, especially medicine. Islamic scholars and doctors translated medical texts from all over the known world, including the Greeks and Romans, Persians and Indians. They not only gathered this knowledge and translated it into Arabic, they added their own medical observations and methods. Islamic doctors developed new techniques in medicine, dissection, surgery and pharmacology. They founded the first hospitals, introduced physician training and wrote encyclopaedias of medical knowledge. in order to identify the contribution of the Islamic civilization in the development and spread of health behaviors among Europeans. In our view, the appropriate approach to achieving this objective is the descriptive analytical approach. The study tools were based on the books of History. The study Concluded That Islamic civilization Have A Significant

الاعتماد على كتب التاريخ. وخلصت الدراسة إلى أن الحضارة الإسلامية لها أثر كبير وواضح في تنمية وانتشار السلوكيات الصحية لدى الأوربيين.

الكلمات المفتاحية: حضارة؛ إسلامية؛ أوربا؛ طب؛ سلوكيات صحية.

Impact And Clear In The Development and spread of health behaviors among Europeans.

Key words: civilization; Islamic; Europe; medicine; health behaviors.

***المؤلف المرسل.**

I– تمهيد :

كان نزول الوحي على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام بداية تأسيس حضارة إنسانية راقية أساسها القراءة، فقد كانت أول كلمة نزلت من القرآن الكريم هي كلمة "إقرأ"، والقراءة كانت تمهيد لإعداد الحضاري، وكان النبي عليه الصلاة والسلام هو القائد لإعداد قادة جيل الحضارة، فاستمر في تربية أصحابه وتكوينهم تكوينا شاملا يليق بالقيادة الحضارية، فطور أسلوب التفكير والتأمل عند المسلمين عامة وعند صفوة المسلمين خاصة، وطهر قلوبهم من الشرك ومن الخرافات. و"هذا التمهيد أو الإعداد الحضاري هو الذي يسمى بالوعي الحضاري. وليس من الضروري أن يكون هذا الوعي قائما في أذهان الجماعة كلها لتتحرك للعمل، بل يكفي أن تكون هناك أقلية قائدة واعية، وهي قائدة لأنها واعية، ولا يعرف التاريخ حركة ذات معنى حضاري أو أثر في تقدم الجماعة أو الإنسانية كلها إلا نهضت بعبئها هذه الأقلية الواعية، التي تسمى عادة بالصفوة[1]". واستمر النبي عليه الصلاة والسلام في تدريب أصحابه لقيادة أمة صارت خير أمة أخرجت للناس، وبلغت حضارتها إلى كل بقاع الأرض، و ظلت المبادئ الإسلامية تنتشر بين البشر ، ولا زالت تحث الناس للابتعاد عن كل ضرر، فقد حرمت الشريعة الاسلامية كل ما كان ضرره أكثر من نفعه، وحثت على الخير للبشر وكل ما فيه منافع للناس، وجاءت الشريعة الإسلامية للحفاظ على الضروريات الخمس، والتي منها حفظ العقل وحفظ النفس، وللحفاظ على ذلك حرمت كل ما يضر من مأكولات أو مشروبات، كما حرمت أفعال ضارة كفعل الفواحش، واعطت بدائل حلال عن تلك المحرمات، وحثت على الأكل والشرب دون اسراف، وحثت على كل ما يحفظ صحة من سلوكيات الطهارة والأكل والشرب والكثير من تصرفات المسلم اليومية، حتى في قضاء حاجته وبعض الأفعال اليومية. وكان في تعاليم الإسلام خير كثير للمسلمين، انعكس على حياتهم الاجتماعية والصحية وكل أمورهم الدنيوية، فتأثرت بهم بعض الأمم التي كانت تهيم في الضلال، وتكاثرت فيهم الموبقات وكثرت فيهم المحرمات وازدادت فيهم الأوبئة والأمراض. وقد تأثر بحضارة المسلمين الشعوب الأوربية وخاصة التي تقع في الجهة الغربية، لاحتكاكهم بالمسلمين في مواطن كثيرة، منها الأندلس وايطاليا وصقلية التي انتشرت فيهم علوم المسلمين بكميات كبيرة. وكان لهذا التأثر فضلا في تغيير عادات أوربية كثيرة. ومعرفة الثقافة الصحية في الحضارة الإسلامية، وتأثيرها على العادات والثقافة

الصحية، كانت هي هدف هذه الدراسة الوصفية، وانطلقت هذه الدراسة من الإشكالية التالية:

كيف كان أثر الحضارة الإسلامية على ثقافة الأوربيين الصحية في العصور الوسطى؟

وللإجابة على الإشكالية اعتمدت الدراسة على استخدام منهج علمي معروف, والمنهج العلمي هو مجموعة الخطوات والطرق المنتظمة التي يتبعها الباحث في معالجة الموضوعات التي يقوم بدراستها إلى أن يصل إلى نتيجة معينة[2], وقد اعتمدت الدراسة على منهج رئيسي هو المنهج الوصفي, والمنهج الوصفي هو منهج يقوم أساسا على وصف الظاهرة أو الموضوع محل البحث والدراسة ومحاولة الوقوف على أدق جزئياته وتفاصيله[3].

II– الحضارة والثقافة:

الثقافة: ليس هناك تعريفا يمكن الاستناد إليه على مفهوم الثقافة بشكل نهائي, ويعتبر مفهوم الثقافة مفهوم فضفاضاً واسعا يشمل عدة مدلولات، فحسب اليونسكو فإن الثقافة أن الثقافة بمعناها الواسع يمكن أن ينظر إليها على أنها جميع السمات الروحية والمادية والفكرية والعاطفية التي تميز مجتمعاً بعينه، أو فئة اجتماعية بعينها، وهي تشمل الفنون والآداب وطرق الحياة كما تشمل الحقوق الأساسية للإنسان ونظم القيم والتقاليد والمعتقدات وعلى هذا فإن الثقافة تعني كل ما ينتجه المجتمع من نتاج مادي أو معنوي. كما تعرف على أنها خليط معقد من الأعراف والتقاليد والعادات والاهتمامات والاتجاهات العقلية السائدة في مجتمع خلال فترة ما. فهي تعد طرائق تفكير وأنماط سلوك موروثة ومكتسبة من البيئة دون وعي أو قصد. فالناس يتشربون ثقافة مجتمعهم كما يتشربون لغتهم ويحكمون على كل شيء وفق المعايير السائدة التي امتصوها تلقائيا وامتزجت بعقولهم ووجدانهم فهي تحركهم لا شعوريا وإن كانوا يتوهمون أنهم يفعلون ذلك بحر اختيارهم ومحض إرادتهم، ويجهلون أن مصدر ثقافتهم بالأساس هو برمجة راسخة سابقة انطبعت عليها عقولهم دون أدنى ارتياب أو مراجعة[4]. والثقافة مفهوم واسع يشمل كل الأنشطة والمظاهر والعادات البشرية وهي غير محدودة في زمان أو مكان وإنما يحددها مدى ارتباطها بهوية حضارية معينة وتكون الصناعة مظهر من مظاهر الثقافة فهي الصبغة التطبيقية الملموسة لها. وأورد علماء الاجتماع تعريفات

عِدة لمصطلح الثقافة، ومن هؤلاء العلماء، العالم الإنجليزي (تايلر) في كتابه الثقافة البدائية، عرف الثقافة بأنها ذلك الكل المركب الذي يشتمل على المعارف والمعتقدات والفن والقانون والأخلاق وكل القابليات والتطبيقات الأخرى التي يكتبها الإنسان كعضو في مجتمع ما[5]. ويعرف (روث بنديكت) الثقافة بأنها، نمط من التفكير والعمل ينظم أنشطة شعب ما ويميزه عن الشعوب الأخرى وما يندرج من هذا التميز من أفكار ومشاعر وقيم وأشياء وأعمال ونزعات وتراكمات. ويعرف المفكر الأمريكي (ريتشارد ماكيون) الثقافة على أنها كمجموعة من العادات مقبولة في جماعة معينة، يمكن متابعة آثارها في كل دوائر النشاط الإنساني كالسياسة والحقوق والفن والدين والمعرفة العقلية بمختلف صورها. ويعرف الدكتور محيي الدين صبري الثقافة بأنها، مجموعة النشاط الفكري والفني في معناهما الواسع، وما يتصل بهما من مهارات أو يعين عليها من وسائل فهي موصولة بمجمل أوجه الأنشطة الاجتماعية الأخرى، مؤثرة فيها ومتأثرة بها، معينة عليها، مستعينة بها، ليتحقق بذلك المضمون الواسع لها، متمثلا في تقدم شامل للمجتمع في كل جوانب سعيه الحضاري إنتاجا وارتفاعا، وأخذا وإعطاءً، في تعامل خصب وعطاء متجدد، عرفت اليونسكو في إعلان مكسيكو سنة 1982 الثقافة واعتبرتها بمعناها الواسع يمكن أن ينظر إليها على أنها جميع السمات الروحية والمادية والفكرية والعاطفية التي تميز مجتمعاً بعينه، أو فئة اجتماعية بعينها، وهي تشمل الفنون والآداب وطرق الحياة كما تشمل الحقوق الأساسية للإنسان ونظم القيم والتقاليد والمعتقدات[6].

الحضارة: والحضارة هي مرحلة سامية من مراحل التطور الانساني، وتعني جملة مظاهر الرقي العلمي والفني والأدبي التي تنتقل من جبل إلى جيل في مجتمع أو مجتمعات متشابهة، ولكل حضارة نطاقها وطبقاتها ولغاتها. وتعرف الحضارة أيضا على أنها مجموعة ظواهر اجتماعية مركبة، ذات طبيعة قابلة للتناقل، تتسم بسمة دينية واخلاقية وجمالية فنية وتقنية وعلمية[7].

وتتميز الثقافة عن الحضارة كونها تستمد وجودها من الجماعة المتصلة بها، فهي تعبر عن تلك الجماعة أو نمط معيشتها، في حين لا ترتبط الحضارة بمجتمع معين أو شعب معين فهي تتجاوز الثقافة في الزمان والمكان رغم أنها تتولد عنه[8]. فالثقافة تمكن من امتلاك القيم الإنسانية التي تخلق الحضارة. الحضارة نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافي، وتتألف الحضارة من عناصر أربعة هي الموارد الاقتصادية، والنظم السياسية، والتقاليد الخُلقية، ومتابعة العلوم والفنون[9]. ويمكن تعريف الحضارة على أنها الفنون والتقاليد والميراث الثقافي والتاريخي, وحجم التقدم العلمي الذي تمتع به شعب ما في حقبة تاريخية معينة, وترتكز الحضارة على البحث العلمي والفني التشكيلي بالدرجة الأولى، فالجانب العلمي يتمثل في الابتكارات التكنولوجيا وعلم الاجتماع فأما الجانب الفني التشكيلي فهو يتمثل في الفنون المعمارية والمنحوتات وبعض الفنون التي تساهم في النمو والتطور. فلو ركزنا بحثنا على أكبر الحضارات في العالم مثل الحضارة الرومانية سنجد أنها كانت تمتلك علماء وفنانين عظماء. فالفن والعلم هما عنصران متكاملان يقودان أي حضارة[10], والثقافة السليمة المنسجمة هي المدخل الضروري لعملية البناء الحضاري , والثقافة هي علاقة عضوية في سلوك الفرد، وأسلوب الحياة الاجتماعية، وهي نظرية في السلوك الاجتماعي، وليست نظرية في المعرفة[11], فالثقافة هي المحيط الفكري والنفسي والاجتماعي والأخلاقي والروحي، الذي يحتضن الوجود الإنساني في المجتمع، ويدعمه بالخبرة المعرفية والسلوكية والأخلاقية والجمالية، وهي نظرية في العرفة، ومنهج في السلوك وطريقة في العمل والبناء[12], والارتقاء بالأخلاق والسلوك الإنساني هو الهدف الأساس للحضارة، كما أن الفن والجمال له تأثير في الروح الاجتماعية, فبالذوق الجميل الذي ينطبع فيه فكر الفرد، يجد الإنسان في نفسه نزوعاً إلى الإحسان في العمل، وتوخياً للكريم من العادات, فالمجتمع الذي تأسس وتكونت وحداته على أساس أخلاقي يتطلب صورة ومظهرا واهتماما بالقيم الجمالية والذوق الجمالي, فالقيم الجمالية منبعها الثقافة السليمة التي بها يتحقق انسجام الأفراد مع المجتمع, وهذا الانسجام لا يقدمه العلم بل تقدمه الأخلاق, والنشوز إذا حدث في المستوى الأخلاقي فهو يحدث أيضا في المستوى الجمالي. فالثقافة هي المحيط الفكري والنفسي والاجتماعي والأخلاقي والروحي, الذي يحتضن الوجود الإنساني في المجتمع، ويدعمه بالخبرة المعرفية والسلوكية والأخلاقية والجمالية[13].

III- الحضارة الإسلامية وثقافتها الصحية:

قامت الحضارة الإسلامية على بذل المجهود من أجل تكميل النوع الإنساني وتحقيق التقدم، من أي نوع كان، في أحوال الإنسانية وفي أحوال العالم الواقعي[14]. فالحضارة الإسلامية حضارة ربانية قائمة على تشريع ينظم العلاقة بين الإنسان وربه، وبين الإنسان وأسرته، وبين الإنسان ومجتمعه، وبين الحاكم والمحكوم، وبين الأغنياء والفقراء، والملاك والمستأجرين، وبين الدولة الإسلامية وغيرها في حالة السلم وحالة الحرب. هو قانون مدني و إداري، ودستوري ودولي، إلى جانب أنه قانون ديني. ولهذا اشتمل الفقه الإسلامي على العبادات والمعاملات، والأنكحة والمواريث، والأقضية والدعاوى، والحدود والقصاص والتعازير، والجهاد والمعاهدات، والحلال والحرام، فهو ينظم حياة الإنسان من أدب قضا ء الحاجة للفرد إلى إقامة الخلافة والإمامة العظمى للأمة[15]. ولا تخلد الحضارات إلا بمقدار ما تقدمه في تاريخ الإنسانية من آثار خالدة، في جميع النواحي الفكرية والخلقية والمادية. وقد لعبت الحضارة الإسلامية دورا كبيرا في تاريخ التقدم الإنساني، وتركت أثارا بعيدة المدى قوية التأثير[16]. والثقافة الإسلامية هي الصورة الحية للأمة الإسلامية، فهي التي تحدد ملامح شخصيتها، وقوام وجودها، وهي التي تضبط سيرها في الحياة، وتحدد اتجاهها فيه. إنها عقيدتها التي تؤمن بها، ومبادئها التي تحرص عليها، ونظمها التي تعمل على التزامها وتراثها الذي تخشى عليه من الضياع والاندثار، وفكرها الذي تود له الذيوع والانتشار[17].

والثقافة الصحية هي عملية ترجمة الحقائق الصحية المعروفة إلى أنماط سلوكية صحية سليمة على مستوى الفرد والمجتمع، بهدف تغيير الاتجاهات والعادات السلوكية غير السوية، وكذلك مساعدة الفرد على اكتساب الخبرات، وممارسته العادات الصحية الصحيحة[18]. فالصحة جزء لا يتجزأ من التنمية الاجتماعية والاقتصادية، والتمتع بالصحة الجيدة من شأنه أن يمكن الأفراد من تنمية قدراتهم البدنية والذهنية إلى أقصى حد ويسمح له بأن يعيشوا حياة منتجة اجتماعيا واقتصاديا وثقافيا في انسجام مع بيئتهم ومع أفكارهم ومع رغباتهم. وكان للأطباء المسلمين مساهمة كبيرة في جمع الطب وتطويره ونشره، وقد جمعت كتب أطباء

المسلمين كثيرا مما يمكن اعتباره من الثقافة الصحية التي انتشرت بين المسلمين أولا ثم انتقلت إلى غيرهم من الأمم، وقد شملت الثقافة الإسلامية في المجال الصحي أفعال والتزامات ونصائح للحفاظ على الصحة ظلت متوارثة إلى يومنا هذه. كما تعتبر تعاليم الدين الإسلامي المصدر الرئيس لخير البشرية، وهي نوره الذي به أَبْصر المبصرون، وهُداه الذي به اهتدى المهتدون، وشفاؤه التام الذي به دواء كل عليل، وطريقه المستقيم الذي من استقام عليه فقد استقام على سواء السبيل[19]. ومن الْمُتفق عليه بين جمهور علماء المسلمين أن الله سبحانه ما شرع حكما إلا لمصلحة عباده، وَأن هذه المصلحة إما جلب نفع لهم، وإمَّا دفع ضرر عنهم. وتشتمل الشريعة الإسلامية على مصلحة جزئية في كل مسألة ومصلحة كلية في الجملة. وكثير من تعاليم الشريعة الإسلامية تعتبر أعظم مرجع في أمور الحياة ومنها التثقيف الصحي، والهدف الأساسي لعملية التثقيف الصحي هو تحقيق السعادة والرفاهية لأفراد المجتمع عن طريق الرقي بمستواهم الصحي وتقويم سلوكياتهم، والسعي إلى تصويب اتجاهاتهم الخاطئة والعادات غير الصحية، مع العمل على تنمية وعيهم ومعرفتهم الصحية من خلال شروط السلامة والكفاية الجسمية والعقلية والنفسية[20]. وقد عملت الشريعة الإسلامية من خلال التعاليم التي جاء بها القرآن والسنة النبوية، للحفاظ على الصحة بمفهومها الواسع، وجعل الحفاظ على النفس الذي يتضمن الحفاظ على صحة جسم الإنسان وعقله من الضروريات، فقد ركزت الشريعة على الوقاية قبل العلاج، ومن الوقاية العلاج القيام بالعبادات الواجبة، وتأكيدها بالسنن والمستحبات، واجتناب المحرمات وتجنب الشبهات، وتتمثل المحرمات في بعض الأفعال والمأكولات والمشروبات. فقد نهت الشريعة الإسلامية عن الخبائث والمسكرات والمخدرات لما فيها من أضرار للفرد والمجتمع، وأضرار هذه المنكرات على الصحة شديدة الخطورة، ف**الزنا** والشذوذ والمخدرات مسؤولة عن أكثر من (90%) من الإصابات بالأمراض المنقولة جنسياً، وعن (98%) من إصابات الإيدز في الولايات المتحدة الأمريكية، وهذه الممارسات محرّمة في كل الأديان السماوية. وقد صرحت مسؤولة مراقبة الاوبئة في أوروبا بالتعاون مع منظمة الصحة العالمية في نهاية عام (2015م)، أن عدد

الإصابات الجديدة بفيروس الايدز في أوروبا لعام (2014م) بلغ (142000) مائة واثنان واربعين الف اصابة جديدة[21]. ومن الآثار الصحية النافعة في أوامر الله على صحة الإنسان، استجابته لأمر الله بالطهارة، والطهارة كلمة عامة من مضامينها النظافة وإزالة النجاسة و القذارة من جسم الإنسان، وإزالتها من الثياب، ومن المكان، وقد أمرت الشريعة الإسلامية المسلمين وجوبا بالاغتسال بعد الدورة الشهرية عند النسا أو بعد خروج المني سواء كان ذلك نتيجة ممارسة جنسية أو بالاحتلام، كما أمرت الشريعة الوضوء للصلاة، بعد حدوث حادث من الحوادث الناقضة للوضوء ومنها خروج خارج من أحد السبيلين والنوم وزوال العقل. والوضوء شرط من شروط صحّة الصلاة، ويستحب تجديده لكل صلاة من الصلوات الخمسة، كما يستحب للمسلم أن يكون دائما على طهارة. فالطهارة لها ارتباط وثيق بوقاية الوقاية من الأمراض والحفاظ على الصحة الجسمية والصحة النفسية، فغسل اليدين والوجه والمرفقين والرجلين في الوضوء مرات متعددة قد تصل إلى خمسة أو أكثر يوميا، يحافظ على نظافة هذه الأعضاء وحمايتها من البكتريا والجراثيم، والوضوء يعمل على تطهير الفم والأنف والعين ووقايتهم. وحثّ النّبي عليه الصلاة والسلام على ضرورة اتباع سلوكيّات معيّنة في الحياة لدرء الأمراض والأوبئة عنهم، فقد أمر عليه الصلاة والسلام على تغطية الإناء في الليل كما قال، (غطُّوا الإناءَ، وأوكوا السِّقاءَ، فإنَّ في السَّنةِ ليلةً ينزلُ فيها وباءٌ، لا يمرُّ بإناءٍ ليسَ عليهِ غطاءٌ، أو سقاءٍ ليسَ عليهِ وِكاءٌ، إلَّا نزلَ فيهِ من ذلِكَ الوباءِ)، وهذا بلا شك الفعل هو للوقاية من وباء قد يصيب الإنسان من استعمال أواني ليس عليها غطاء. كما كان للنبي عليه الصلاة تعليمات للوقاية الصحية من الطاعون والوباء، وأمر بالحجر الصحيّ عند ظهور الطاعون وقال: (إذا سمعتم به في أرض فلا تقدموا عليها، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه).كما اهتمت الشريعة الإسلامية بالغذاء للجسم دون مبالغة في ذلك وجاء ذلك في قوله الله تعالى: وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ(سورة الأعراف الآية 31). وقد نهى رسول الله صلى اله عليه وسلم عن ملأ البطن بالأكل والشراب، ومن الأحاديث التي تحث على ذلك قول النبي عليه الصلاة والسلام: (ما

ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لابد فاعلاً فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه). ومع الأهمية الصحية لطريقة تناول الطعام والشراب، وعلاقة ذلك بصحة البدن، فقد حدد النبي عيه الصلاة والسلام الوضعية المثلى للجلوس على الطعام، ونهى عن وضعيات قد ينجم عنها بعض الأذى، كأن يأكل المرء أو يشرب واقفاً أو متكئاً، كما ندب إلى أن يتحدث الإنسان على طعامه لإدخال السرور على المشاركين. وقد أوجبت الشريعة الإسلامية للمسلمين صيام شهر رمضان, و حببت لهم الصيام دائما، وقد لجأت كثير من المصحات العالمية في الدول الغربية إلى استعمال الصيام كوسيلة فعالة في إنقاص وزن المرضى الذين لا تجدي معهم وسيلة أخرى. الإسراف في الطعام هو السبب الحقيقي لمرض السمنة التي تؤدي إلى تصلب الشرايين وأمراض القلب وتشحم الكبد وتكون حصوات المرارة ومرض السكر ودوالي القدمين والجلطة القلبية والروماتزم المفصلي الغضروفي بالركبتين وارتفاع ضغط الدم والأمراض النفسية والآثار الاجتماعية التي يعاني منها البعض، وقد لجأت كثير من المصحات العالمية في الدول الغربية إلى استعمال الصيام كوسيلة فعالة في إنقاص وزن المرضى الذين لا تجدي معهم وسيلة أخرى[22]. كما حرمت الشريعة الإسلامية بعض الأكل والشراب، كالميتة والدم ولحم الخنزير والخمر. ومما لا شك فيه أن تحريم الإسلام لبعض المأكولات والمشروبات، ليس حرمانا لهم من ذلك عبثا، إنما ذلك من أجل منفعتهم وصرفهم عما قد يلحق بهم من ضرر جراء ذلك، إبعاد الإنسان عن كل ما يضر به، فكل محرم حرمه الإسلام يعتبر خبيث ونجس. وقد تناولت الدراسات الشرعية والبحوث الطبية الحكمة الشرعية من تحريم بعض المأكولات والمشروبات، والحكمة من تحريم أكل لحم الميتة، أن الحيوان لا يموت غالبا إلاّ وقد أصيب بعلة والعلل مختلفة وهي تترك في لحم الحيوان أجزاء منها فإذا أكلها الإنسان فإنه يخالط جزءا من دمه جراثيم الأمراض، مع أن الدم الذي في الحيوان إذا وقفت دورته غلبت فيه الأجزاء الضارة على الأجزاء النافعة، ولذلك شرعت الذكاة لأن المذكى مات من غير علة غالبا، ولأن إراقة الدم الذي فيه تجعل لحمه نقيا مما يخشى منه أضرار. ومما قيل على في أسباب

تحريم لحم الخنزير، أنه يتناول القاذورات بإفراط فتنشأ في لحمه دودة مما يقتاته لا تهضمها معدته فإذا أصيب بها آكله قتلته[23]. هذا بالإضافة إلى تأثيرات واضرار أخرى علمها من علمها وجهلها من جهلها. وقد حرم الله الفواحش، قال الله تعالى: وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا (سورة الإسراء الآية:32)، وقال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَمْ تَظْهَرْ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا ، إِلَّا فَشَا فِيهِمْ الطَّاعُونُ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمْ الَّذِينَ مَضَوْا). فقد انتشرت أمراض خطيرة لم تكن معروفة من قبل بسبب ارتكاب الفاحشة وانتشارها، وآخر هذه الأمراض الخطيرة مرض الإيدز، فقد كشفت منظمة الصحة العالمية في تقريرها السنوي أن عدد المصابين بمرض الإيدز بلغ أوجَه عام 2016، وأن وتائر انتشار المرض عالية، وتفيد المنظمة في تقريرها الذي نشر في 30 نوفمبر 2017، أن مرض الإيدز ينتشر بصورة سريعة في أوروبا. وأن عدد المصابين بالمرض عام 2016 ازداد بمقدار 160 ألف شخص من 53 بلدا أوروبيا يعيش فيها 900 مليون إنسان، وأن 80% من هذه الإصابات سجلت في أوروبا الشرقية[24]. وقد تيقن العلم الحديث المنصف أن تحريم الإسلام للمحرمات هو من أجل عناية الإسلام وعنايته بحفاظ صحة الإنسان الجسمية والعقلية والنفسية، وحفظ النفس والعقل من المقاصد الكلية في الشريعة الإسلامية، فقد جاءت الشريعة الإسلامية بقواعد لحفظ صحة الإنسان من عمل بها، سلم من أكثر الأمراض. كما قام العلماء المسلمون بأعمال عظيمة في مجالات متعددة، منها المجال الطبي، فقد أثرت مؤلفات (ابن سينا) المختلفة في ثقافة الغرب ومعتقداتهم في العصور الوسطى. ومن بين أهم كتب ابن سناء نذكر كتاب "الشفاء" وفيه شرح ابن سنا العلوم الإغريقية، و عبر فيه عن آرائه الخاصة. وكانت له كتب أخرى منها كتاب "النجاة" وكتاب "الإرشادات والتنبيهات" وكتاب "المباحثات" أما كتابه في الطب الذي كان له أثر كبير في أوربا فهو كتاب "القانون في الطب". فابن سناء قد سبق بعض اطباء أوربا في اكتشافاته، ومن جملة تلك الانجازات التي حققها في مجال الطب اكتشافه الأنكلستوما وسماها الدودة المستديرة، والتي استطاع العالم الايطالي (دوربيني) أن يكتشفها سنة 1838م،

اي بعد اكتشاف ابن سنا لها بتسعمائة عام، وابن سينا هو أول من وصف أعراض حصى المثانة السريرية وكان من المهتمين بمرض السكر، وأول من أدخل أمراض الشيخوخة وذلك في رسالته (رعاية المسنين والشيوخ)، وكان أول من صرح بقابلية الأعضاء الصلبة في الجسم كالعظام للالتهاب والتضخم والأورام مخالفا في ذلك التعاليم اليونانية وميز بين التهاب المنصف الصدري وبين ذات الجنب ونص على أن السحاف ينتقل بالعدوى وقال بأن عدوى الأمراض تسري بواسطة الماء والتراب واستعمل المخدر في الجراحة كما استخدم الابر للحقن تحت الجلد في علاجه[25]. فقد اهتم العلماء المسلمين في العصور الوسطى بالعلوم كافة، و كان اهتمامهم بالطب اهتماما كبيرا، وكان طبهم يستهدف العلاج من الأمراض التي تصيب الإنسان أو تهدد صحته، كما كان من أهدافه حفظ صحة الإنسان ووقايته من الأمراض والأوبئة، ونشر السلوكيات الصحيحة للوقاية من الأمراض، واهتموا بصنع الأدوية وبالعمليات الجراحية، واجتهدوا في الكشف عن أسباب الأمراض وطرق انتشارها، لمعرفة أساليب الوقاية منها. كما كان من اهتماماتهم أنجاز المستشفيات، وتكوين الطلبة من جميع الأجناس والأديان، فانتشرت علومهم وانبثقت عن علومهم ثقافة أوربية تهتم بالصحة والوقاية من الأمراض. فرسالة الاسلام في اصولها وفروعها بناء متكامل يتلاءم كل التلاؤم مع فطرة الانسان الطيبة واستعداده للخير، ولدى المسلمين هذا الرصيد الضخم الذي يجب أن يتحول إلى تفاعل منتج بين العقيدة والسلوك والعمل[26].

IV– أوربا في العصور الوسطى قبل النهضة:

العصور الوسطى هي فترة تاريخية تمتد من القرن الخامس إلى القرن الخامس عشر الميلادي، بدأت بعد سقوط الإمبراطورية الرومانية سنة 476م، وامتدت إلى عصر النهضة الأوربية، فهي فترة من تاريخ أوروبا الغربية تقع ما بين العصور القديمة والعصور الحديثة، وقبل القرون الوسطى كانت أوربا الغربية جزءا من الإمبراطورية الرومانية، واشتملت أوربا الغربية على الإمبراطورية الرومانية ومملكتي انجلترا وفرنسا وعدد من الدول الصغرى. أصيبت حضارة غربي أوربا خلال هذه العصور بالانحطاط ولم يتبق من حضارة الرومان القدامى سوى ما بقي من قلة قليلة من مدارس الأديرة والكاتدرائيات والبلاط والقصور الملكية، فلقد كانت الفترة

من نهاية القرن الرابع إلى القرن السادس فترة موت المدن الأوربية لكثرة الحروب والتدمير وسيرة الإقطاع، وما بقي من مدن الرومان كانت جميعها أشبه بالقرى ولم تكن مدنا بالمعنى الصحيح، ولقد استمرت المدن باضمحلالها إلى القرن الحادي عشر الميلادي[27]. كما أن مصطلح العصور الوسطى في أوربا يستخدم للدلالة على العصور المظلمة فيها، وهي الفترة ما بين الأعوام 400 – 1400 تقريبا، حيث لم يبق من معارف الإغريق والرومان التي ازدهرت في أوروبا سوى القليل، وتميزت هذا العصور بتفشي الجهل والتشدد الديني وتعاظم دور الكنيسة في مختلف مجالات الحياة[28]. وما وصفت بالمظلمة إلا لشدة الجهل المنتشر وقلة العلم وانتشار الخرافات، فقد كان مستوى التعليم والثقافة خلالها في غاية الانحطاط، وكانت المعلومات الوثائقية حول تاريخ هذه الفترة قليلة ومتأثرة بالخرافات والأساطير. وكانت أوربا خلال العصور الوسطى، في القرن السابع الميلادي إلى ما بعد العاشر غاصة بالغابات الكثيفة وتنبعث من مستنقعاتها الكثيرة في أرباض المدن روائح قتالة، تجتاح الناس وتقتلهم، وكانت البيوت في باريس ولندن تبنى من الخشب والطين المعجون بالقش والقصب، ولم يكن فيها منافذ، ولم يكونوا يعرفون النظافة، ويلقون بأحشاء الحيوانات وأقذر المطابخ أمام بيوتهم فتتصاعد منها روائح مزعجة، ولم يكن للشوارع مجار ولا بلاط ولا مصابيح[29]. وكانت أرضيات المنازل تغطى بالقش والحصير، ولم يكن استبدل القش وتنظيف المنازل يتم بشكل كامل وفعال، مما يساهم في انتشار الحشرات في المنازل، وصارت المنازل تعاني من البراغيث، والقمل، والقراد، وبعض الحشرات الأخرى الضارة. بالإضافة إلى أكبر مشكلة تهدد صحة الأفراد والمجتمع حينها كانت تتمثل في مشكلة الفضلات ومن بينها الفضلات البشرية، وكيفية التصرف فيها أو التخلص منها، وكان التخلص منها يتم بصفة عشوائية ودون ضوابط ودون تخصيص أماكن لذلك، مما تسبب في تلوث المياه ومنها مياه الشرب، ولا شك أن ذلك كان سببا في انتشار الأمراض والأوبئة بين السكان. فقد كانت معظم الأنحاء التي تعرف بوسط أوربا وغربها تكسوها الأحراش والمستنقعات وتنتشر فيها الأمراض والأوبئة[30].

ولم تكن النظافة من اهتمامات المجتمع الأوربي في بداية القرون الوسطى، وكانت القذارة من صفاتهم، فأهلها لا يتنظفون ولا يغتسلون في العام إلا مرة أو مرتين بالماء البارد، ولا يغسلون ثيابهم منذ أن يلبسونها إلى أن تتقطع، وكانت الكنيسة تعارض وجود الحمامات بحجة أنها تفسد الأخلاق، واعتبرتها بؤرة فساد وفسق، وكان تحقيرها للجسم بوجه عام مما جعلها تهمل

العناية بقواعد الصحة، وعدوا القذارة مظهرا من مظاهر العفاف[31]. وكانت المستشفيات في حالة يرثى لها وكانت وظائفها متعددة، فلم تكن مستشفيات أوروبا تحمل مواصفات المستشفى التي يعالج المرضى، بل كانت عبارة عن ملاجئ وفنادق تأوي كل من لا مأوى له، من مسافرين ويتامى وأرامل وعجزة وفقراء ومكفوفين وكبار السن، وكانت مستوصفات لتخفيف الألم وعيادات لجراحة المصابين والمرضى. وقد ذكرت المستشرقة الألمانية (زيغريد هونكه) ذلك حيث قالت: وقد قامت في أطراف البلاد الأوربية ملاجئ ومستشفيات كثيرة، استقبلت المسافرين والحجاج واليتامى والأرامل والعجزة والفقراء، والمرضى أيضا، ولم هناك مستشفيات مخصصة للمرضى فقط، وكانت هاته المستشفيات بها مبنى يضم المرضى يزدحم بأخطر الحشرات، بالإضافة إلى فساد الهواء في الداخل لدرجة لا تطاق ولا تحتمل، حتى أن الموجلين بالأمر كانوا إذا دخلوا القاعات، ستروا انوفهم وأفواههم بإسفنجة مبللة خلا، وكانت جثث الموتى تترك مدة أربع وعشرين ساعة و في الغالب أكثر ، فيضطر المرضى أن يشاطروا الجثث هذا المكان، فتفوح الروائح النتنة في الأجواء ، وينقض البعوض نهشا من اللحم العفن[32]. وكادت معلومات الأوربيين تنعدم في الطب بسبب الجهل وتزمت رجال الدين في العصور الوسطى حتى اعتبروا المرض نوعا من الجزاء والعقاب الإلهي لا يصح للإنسان أن يعالجه أو يبرأ منه، فإذا انتابت أحدهم حمى هرع إلى أقرب دير أو كنيسة حيث يختفي على مقربة منها منتظرا حدوث معجزة تشفيه[33]. كما كان انتشار الفواحش الواسع في أوربا من الأسباب المباشرة في انتشار الأمراض والأوبئة، واعتبر رجال الكنيسة أن المرأة هي المسؤولة عن هذا كله، بسبب خروجها واختلاطها وتمتعها بمن تشاء كيف تشاء، فقرروا أن الزواج دنس يجب الابتعاد عنه، وأن الأعزب أكرم عند الله من المتزوج، وفي 1161م سُن قانون في لندن يقضي بعدم الاحتفاظ في المواخير بأية مومس عندها هذا المرض، وكان ذلك بسبب أنتشار مرض السيلان. وانتشر مرض الزهري (المعدي) بسرعة في أوربا مع نهاية القرن الخامس عشر، وتسبب في موت الملايين، وكامل العامل الرئيس في انتشار هذا المرض القاتل انتشار الزنا، حيث انتشرت دور البغاء حتى بلغت في لندن وحدها (2000) بيت تضم (50000) مومسٍ، وأدمن الشباب على فاحشة الزنا، وعمُّت المشكلة أوروبا جميعها[34]. وأما في ألمانيا فقد أغلق فردريك الأول كل دور البغاء فهربت المومسات إلى مختلف المناطق، مما ضاعف من انتشار الأمراض الجنسية. وأما في فرنسا فقد زاد عددهن على (30000)

مومسٍ، تُلُثهن مصاباتٍ بالسيلان أو السفلس أو كليهما، وكانت مهمة الشرطة طرد المصابات منهن، حتى كان يُطرد ما معدله 400 مومس شهرياً فيتحولن إلى مومسات متجولات، وعندها منع الملك لويس السادس عشر البغاء نهائياً، وعاقب كل من يؤوي مومساً بغرامة مادية باهظة[35]. وفي الوقت الذي كان فيه المسلمين ينظرون إلى العوارض كالطاعون نظرة علمية، كان الأوربيون يقفون أمامها مكتوفي الأيدي ، وقد سيطرت على عقولهم اعتقادات مهترئة اعمت بصرهم، وفي عام 1348م الذي انتشر فيه الطاعون انتشارا مخيفا، خرج استاذ في جامعة مونبيليه بنظرية تقول أن نظر المريض هو المسؤول عن انتشار الطاعون، ونصح الطبيب أن يطلب من المريض اغماض عينيه أو وضع خرقة عليها قبل أن يعمد في معاينته. وفي سويسرا وجنوب فرنسا ألصق الشعب باليهود تهمة نشر الطاعون، فحرقوا المئات منهم. ولقد نسب بعض الأوربيين مرض الطاعون إلى التقاء الكواكب المشتري وعطارد والمريخ الساعة الواحدة ظهرا من اليوم الواقع في 20 آذار (مارس) سنة 1345، في الدرجة 14، كما قال الطبيب البلجيكي (سيمون دي كوفينو) [36].

V– أثر الحضارة الإسلامية على المجتمعات الأوربية في المجالات الصحية:

كان أثر الحضارة الإسلامية في الأوربيين في العصور الوسطى كبيرا، ولا يمكن لأحد أن ينكر الدور الذي لعبته الثقافة الإسلامية، ومدى الاستفادة التي حققها البشر منها، فقد تأثرت عدة مجتمعات بالحضارة الإسلامية في عدة مجالات، وقد تأثر الأوربيون بما وجدوه في المجتمع الإسلامي من تقدم ورقي في مختلف ميادين الحضارة، فنقلوا بعض العادات من ثقافة المسلمين، كما نقلوا بعض الفنون والصناعات، كالفنون العسكرية وفن العمارة والزراعة والصناعة والحياة الاجتماعية. وكانت بعض مدن الأندلس قلاع لنقل العلوم والمعارف الإسلامية إلى اسبانيا وإلى أوربا. فقد كانت مدينة (طليطلة) أكبر مركز انتقلت منه الثقافة الإسلامية إلى الغرب، فقد استفاد الغرب من الثقافة الموجودة فيها قبل سقوطها وبعده، فقد كانت أول مدينة أندلسية سقطت من المسلمين في يد الإسبان عام 1085م، وظلت بعد سقوطها تحمل الصبغة الإسلامية، وظلت مركزا ثقافيا يجمع العلماء من المسلمين والمسيحيين واليهود، لترجمة التراث الإسلامي العربي إلى القشتالية (الاسبانية)، وصارت طليطلة مركزا لنقل العلوم والمعارف الإسلامية لإسبانيا وأوربا، وكانت أكبر مركز للترجمة في القرنين الثاني عشر والثالث عشر[37]. ورغم الجحود الذي يقابل به كثير من الأوربيين ما قدمته الحضارة

الإسلامية للأوربيين في قرون مضت، إلا هناك منصفين منهم اعترفوا بفضل المسلمين العظيم على أوربن، ومن هؤلاء المؤرخ (جوستاف لوبون) الذي تكلم في كتبه عن التأثير العظيم الذي أثره العرب في الغرب، وأن العلوم دخلت أوربا بواسطة المسلمين في اسبانيا وصقلية وإيطاليا. وأن جامعات الغرب لم تعرف لها، مدة خمسة قرون، موردًا علميًا سوى مؤلفاتهم وأنهم هم الذين مدنوا أوربا مادة وعقلاً، وأخلاقًا، وأن التاريخ لم يعرف أمة أنتجت ما أنتجوه في وقت قصير[38]. كما تكلم عن الترجمة إلى اللاتينية التي قام بها علماء لترجمة كتب المسلمين ومؤلفاتهم في مجالات متعددة ، وما ترجمه المسلمين من كتب اليونان، وذكر أن مكتبا للمترجمين في طليطلة بدأ منذ سنة 1130م في نقل وترجمة أهم كتب العرب ومؤلفات المسلمين إلى اللغة اللاتينية، ولم يقتصر هذا النقل على كتب الرازي وابن سينا وابن رشد وغيرهم من علماء المسلمين، بل نقلت اليها أيضا كتب علماء اليونان التي كان المسلمون قد ترجموها إلى لغتهم، ككتب جاليوس وسقراط وأفلاطون وأقليدس وغيرهم[39]. فالأمة الإسلامية قد بنت حضارة دامت قرونا عديدة، واثرت في الأوربيين بواسطة الجسور التي اقامتها السفن الايطالية وبواسطة الحجاج والتجار والصليبيين والسياح، فأثروا على كافة مجالات الحياة اليومية الأوربية، واغنوها واوحوا لها بالكثير مما تنعم به الآن[40]. وقد أثرت الحضارة الإسلامية في الفكر الأوربي بوضوح وكان من جملة الذين اثروا في الفكر الاوربي الطبيب والفيلسوف العربي ابن سينا وما أثر ابن سينا في الفكر الأوربي إلا جزء من أثر الحضارة الإسلامية على أوربا. ففي القرن الثاني عشر قام (جيرار دي كريموني) بترجمة كتاب القانون لابن سينا الى اللاتينية ومنذ ذلك الوقت بدا الاهتمام به حتى اذا ما جاء عصر الطباعة كان من اوائل الكتب التي طبعتها المطبعة وانتشر انتشارا واسعا حتى انه طبع ست عشرة مرة في الثلاثين السنة الاخيرة من القرن السادس عشر، ومن أقدم الطبعات الأوربية طبعة ميلانو سنة 1743 وطبعة بادروا 1476 والبندقية 1483، وقد طبع كاملا في البندقية 1542 و 1582 و1595م، ومن الطبعات الجزئية طبعة باريس 1657م وألمانيا 1796م، وطبعة فريبورج 1844م، كما قام (ناتان هامئتي) بترجمته الى العبرية في سنة 1279، وظل كتاب القانون يدرس في أوربا مدة طويلة وضل المرجع العام للطب ستة قرون كاملة [41]. وكتاب القانون يعتبر أشهر كتب ابن سناء في الطب، حتى اعتبره الأوربيون خير ما انتجته القريحة الإسلامية، فهذا الكتاب يعتبر دائرة معارف طبية، ففيه ما يدل على أن

أطباء المسلمين عرفوا مرض السل الرئوي، كما أن به أول وصف لداء الفيلاريا وانتشاره في الجسم، وأول وصف للجمرة الخبيثة، كما وصف دورة الأنكلستوما ووضح أثرها في الجسم، كما اهتم بالتشريح ولم يترك عضوا من أعضاء الجسم، حتى تشريح الأسنان وعظام الفكين. وهكذا حتى يكاد القارئ للكتاب أن ناحية من نواحي الطب لم تفته[42]. كما ألف الرازي كتابه "الحاوي" في جميع فروع الطب والذي ظهر في ثلاثة وعشرين جزء. وأحد الشواهد على تأثير الرازي في أوربا نجدها في إعادة طبع أعماله المترجمة حوالي أربعين مرة، فيما بين عام 1498م وعام 1866م، ويحتوي مجلد "الحاوي" على أجزاء خصصها الرازي للأمراض المعدية مثل الجرب والسل والجذام[43]. وقد ضمت مدن الأندلس العديد من الأطباء المتخصصين في فروع الطب، منهم أبو القاسم الزهراوي وهو أكبر المتخصصين في علم الجراحة وله كتاب "التصريف لمن عجز عن التأليف" وظهر هذا الكتاب في ثلاثين جزء في الجراحة بأقسامها المختلفة، وظل هذا الكتاب بعد ترجمته للاتينية بمثابة المرجع الأساسي الذي اعتمد عليه الأوربيون في الجراحة وتجبير العظام لمدة قرون. كما اخترع الزهراوي الكثير من العمليات الجراحية الدقيقة في العيون والأسنان والولادة، وكان يتخذ الخيوط اللازمة لخياطة الجروح من أمعاء بعض الحيوانات، ونجح في عدة عمليات أخرى منها عملية سحق الحصاة في المثانة واستخراجها[44]. ومن الأطباء المسلمين في الأندلس كان أبو الوليد ابن رشد وابن الخطيب ومروان بن زهر وغيرهم. والنظرية العامة للعدوى واجراءات الحجر الصحي وكيفية التعامل مع الأمراض المعدية هي من انجازات طب المسلمين، التي عرفتها أوربا عن طريق اتصالها بالمراكز العلمية والثقافية للمسلمين من ثلاث سبل، فالسبيل الأول عن طريق الأندلس ومراكزها العلمية في قرطبة وغرناطة واشبيلية وطليطلة ومرسية وغير ذلك، واستمرت تلك المراكز العلمية والثقافية لمدة ثمانية قرون، والسبيل الثاني الذي استفاد منه الأوربيون من العلوم والثقافة العربية هو طريق صقلية والمراكز العلمية الثقافية الكبرى التي أنشأها المسلمون فيها، أما السبيل الثالث الذي اتاح للأوربيين التعرف على العلوم والثقافة الإسلامية والاستفادة منها والتأثر بها هو الحملات والحروب الصليبية التي شنها الأوربيون على الدولة الإسلامية في سبع حملات، امتدت بين عام 1096 وعام 1291م، وأسس الصليبيون ممالك في الأراضي التي استولوا عليها واستقروا فيها لمدة طويلة من الزمن، واتاح لهم هذا الاستقرار والمكوث الطويل وسيلة مهمة لانتقال المعارف والعلوم والفنون الإسلامية

من المدن الإسلامية المجاورة مثل القاهرة ودمشق وبغداد، كما أن المدن الإسلامية التي استولى عليها الصليبيون كانت نفسها مراكز علمية وثقافية[45]. ولم يكن في أوربا مستشفيات خاصة بالمرضى، بل كانت مستشفياتهم عبارة ملاجئ تأوي كل من لا مأوى له، إلا أن مستشفيات مخصصة للمرضى دون غيرهم من الناس، ما كانت لتقوم في أوربا قط، إلا في نهاية القرن الثاني عشر، بعد الحملات الصليبية التي عَرَّفتْ الأوربيين على المستشفيات العربية، فأنشأوا بعد عودتهم إلى بلادهم مستشفيات خصصت للمرضى فقط[46]. وقد كان المستشفى في أوربا قبل ذلك كما ذكرنا من قبل. وافاقت أوربا من وحشة العصور المظلمة في أواخر القرن الحادي عشر لتجد نفسها أمام حضارة إسلامية شامخة البناء، لم تترك أدبا ولا علما ولا فنا إلا انهمت فيه بقسط وافر. فأخذت أوربا تقبل على هذه الحضارة الزاهرة، فهرع طلاب العلم والمعرفة من مختلف أنحاء الغرب الأوربي إلى مراكز الحضارة الإسلامية، يرتشفون من معينها الفياض ويرتوون من منهلها العذب، وازداد تدفق طلاب العلم الأوربيين بوجه خاص على الأندلس وصقلية، وقاموا بترجمة كل ما استطاعوا ترجمته من مؤلفات المسلمين ومصنفاتهم، ويحاكون كل ما أمكنهم محاكته من فنون المسلمين وآثارهم، الأمر الذي ترتب عليه قيام حركة حضارية شاملة في الغرب الأوربي، هي النهضة الأوربية [47]. وكان القرن الثاني عشر هو بداية النهضة الأوربية الشاملة، فتغيرت بعض العادات السيئة التي كانت منتشرة في غرب أوربا، فاهتم الأوربيون بالصحة وبناء المستشفيات على الطريقة الإسلامية واهتموا بالعلاج و بالنظافة، فبعد أن كان الأوربيون لا يغتسلون إلا نادرا، وكانت الكنيسة تعارض وجود الحمامات وتعتبر القذارة من مظاهر العفاف، وبعد احتكاك الأوربيون بالمسلمين في الأندلس والشرق أثناء الحروب الصليبية، ألحوا على إدخال الحمامات إلى أوربا، رغم المعارضة الشديدة وصرخات الاستنكار التي دوت أوربا[48].

VI– خاتمة :

قدمت الحضارة الإسلامية كثيرا من العلوم والمعارف التي خدمت الإنسانية، ولا ينكر أي عاقل مدى إسهام الإسلام والمسلمين في مجال وقاية وحفظ صحة الإنسان وعلاجها، ولا ينكر أي منصف ما قدمه الأطباء المسلمين من علوم أحدثت ثورة علمية كبيرة أثروا بها في الفكر الإنساني، وفي الثقافة الأوربية في المجالات الصحية، وكانت علوم

المسلمين نواة لقيام حضارة أوربية بالمقاييس الكمية، ولا قد ظلت بعض مؤلفات علماء المسلمين في المجالات المختلفة للطب تدرس في الجامعات الأوربية لسنوات أو قرون عديدة كمؤلفات ابن سناء والرازي والزهراوي. فقد ضمت الحضارة الإسلامية مئات من العلماء في مجالات الطب وحده، وشملت علومهم كل التخصصات. وكانت الحضارة الإسلامية وثقافتها أهم أسباب تحسن الثقافة الصحية في أوربا، ولا تزال هذه الثقافة حاضرة إلى يومنا هذا. ومن النتائج التي نستخلصها من هذه الدراسة:

- الحضارة الإسلامية حضارة انسانية شاملة، اهتمت بالعلم والمعارف الصحية وقدمتها في مؤلفات لجميع الشعوب دون تحيز لدين أو عرق ودون تخصيص لجنس أو ملة.
- الحضارة الإسلامية قامت على أسس ربانية وعلى منهج نبوي للناس كافة، وكانت انطلاقتها من العلم والتدبر الذي حث عليه الوحي في أول كلمة نزلت من كلام الله (القرآن) على نبيه.
- اهتمت الحضارة الإسلامية بالإنسان وبحفظ صحته الجسمية والعقلية والنفسية، وعملت على تكريم الإنسان وتوجيهه إلى ما ينفعه منفعة خاصة وعامة.
- كانت ثمرة الحضارة حضارة الإسلامية انتشار الثقافة النافعة ومنها الثقافة الصحية في الأمة الإسلامية وفي غيرها من الأمم والمجتمعات.
- استفادت أوربا بعد عصور الظلام من الحضارة الإسلامية، واكتسبت عادات وثقافة صحية، وانتهجت نهج العلم تأثرا بالحضارة الإسلامية.

المراجع:

المراجع:

الكتب:

1- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، (1423هـ)، **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان أبو عبيدة، ط1، الرياض، دار ابن الجوزي، المجلد4.

2- الخطيب، عمر عودة، (1979)، **لمحات في الثقافة الإسلامية**، ط3، بيروت، مؤسسة الرسالة.

3- السباعي، مصطفى، (1999)، **من روائع حضارتنا**، الرياض، دار الورق.

4- بدح، أحمد محمد، مزاهرة، أيمن سليمان، بدران، زين حسن، (2019)، **الثقافة الصحية**، ط7، عمان، الأردن، دار المسير.

5- برغوث، الطيب، (1993)، "**موقع المسألة الثقافية من استراتيجية التجديد الحضاري عند مالك بن نبي**"، الجزائر، دار الينابيع للطباعة والنشر.

6- بن عاشور، محمد الطاهر، (1984)، **تفسير التحرير والتنوير**، ج2، تونس، الدار التونسية للنشر.

7- بن نبي، مالك، (2000)، **مشكلة الثقافة**، دمشق، دار الفكر.

8- عاشور، سعيد عبد الفتاح، (1963)، **المدينة الإسلامية وأثرها في الحضارة الأوربية**، القاهرة، دار النهضة العربية.

9- عياد، أحمد، (2006)، **مدخل لمنهجية البحث الاجتماعي**، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية.

10- كمال، عبد السلام، (2018)، "**الحضارة الإسلامية، ثقافة وفن وعمران**". مصر، بروج للنشر والتوزيع.

11- لوبون، جوستاف، (2012)، **حضارة العرب**، ترجمة: عادل زعيتر، القاهرة، مؤسسة هنداوي.

12- محاسيس، نجاة سليم، (2014)، "**مفاتيح علم التاريخ**"، عمان، الأردن، دار زهران للنشر والتوزيع.

13- محمود، أحمد السيد، (1973)، **الدليل إلى منهج البحث العلمي**، مصر، دار المعارف.

14- مؤنس، حسين: (1978)، **الحضارة، دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها**، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

15- هونكه، زيغريد، (1993)، **شمس العرب تسطع على الغرب**، ترجمة: فاروق بيضون، كمال دسوقي، ط8، بيروت، دار الجيل.

16- وتس، شلدون، (2010)، **الأوبئة والتاريخ (المرض والقوة والإمبريالية)**، ترجمة: أحمد محمود عبد الجواد، القاهرة، المركز القومي للترجمة.

المجلات:

17- المرهج، عبد الله عبد الهادي، (2014) سؤال الثقافة والمثقف، بغداد، مجلة آداب المستنصرية، بغداد، 2014، المجلد 38، العدد66، 01-34

18- صبر، انتظار جاسم، (2019)، خصائص مدن العصور الوسطى في أوربا الغربية، الأنبار، العراق، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإنسانية، الأنبار، العراق، المجلد1 العدد 3، 172-195.

19- كنعان، عاصم اسماعيل، السامرئي، بهار أحمد جاسم، (2015)، الحياة الاجتماعية في أوربا في العصور الوسطى الإسلامية، مجلة ديالي، العراق، العدد 67، 282-310.

الأنترنت:

20- الجلال، عبد المجيد بن محمد، (2015، 22 يوليو)، هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمجتمع السعودي، https://aljalalmajed.blogspot.com/2015/07/blog-post_203.html، تاريخ التصفح 2020/09/26، (23:12)

21- الفلاحي، محمود، (2019، 10يونيو)، أثر الحضارة العربية في الفكر الأوربي، https://www.azzaman.com، تاريخ التصفح:(2020/09/30. الساعة: 23. الدقيقة 17).

22- القرضاوي، يوسف، التشريع الإسلامي ..أهميته وضوابطه، (2007، 10أذار) (https://www.al-qaradawi.net/node/4300)، تاريخ التصفح:(2020/09/26. الساعة 12 والدقيقة 54).

23- القضاة، عبدالحميد، (2017، 03مايو)، لأمراض المنقولة جنسيا، https://shanti.jordanforum.net/t15268-topic ، تاريخ التصفح: 2020/09/26. الساعة: 01: الدقيقة: 20).

24- المصباحي، حسونة، (2015، 01 تشرين الأول)، هل كانت القرون الوسطى مظلمة حقاً، ttps://alarab.co.uk، تاريخ التصفح: (2020/09/25 الساعة 20 و24 دقيقة).

25- إسلام ويب، (2012، 27مايو)، ما ملأ ابن آدم وعاء شرًّا من بطنه،https://www.islamweb.net/ar/article/175783. تاريخ التصفح:(2020/09/26. الساعة 01. الدقيقة 40).

26- روسيا اليوم الاخبارية، (2017، 01كانون الأول)، ارتفاع عدد المصابين بالإيدز في العالم، https://arabic.rt.com/health/913026. تاريخ التصفح:(2020/09/26. الساعة: 00. الدقيقة: 50).

27- سويدان، محمد خطاب، (2012، 09 كانون الثاني)، الثقافة – معناها – تعريفها، http://www.wata.cc/forums/showthread.php?92508. تاريخ التصفح 2020/09/26، (23:20).

الهوامش:

1- مؤنس، حسين: (1978)، **الحضارة، دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها**، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ص101.

2- محمود، أحمد السيد، (1973)، **الدليل إلى منهج البحث العلمي**, مصر، دار المعارف, ص09.

3- عياد، أحمد، (2006)، **مدخل لمنهجية البحث الاجتماعي**, الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية, ص61.

4- المرهج، عبد الله عبد الهادي، (2014) سؤال الثقافة والمثقف, بغداد، مجلة آداب المستنصرية, بغداد, المجلد 38، العدد66، 01-34.

5- الجلال، عبد المجيد بن محمد، (2015، 22 يوليو)، هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمجتمع السعودي، https://aljalalmajed.blogspot.com/2015/07/blog-post_203.html، تاريخ التصفح 2020/09/26، (23:12)

6- سويدان، محمد خطاب، (2012، 09 كانون الثاني)، الثقافة – معناها – تعريفها، تاريخ التصفح http://www.wata.cc/forums/showthread.php?92508. 2020/09/26، (23:20).

7- الرهج، عبد الله عبد الهادي، مرجع سابق، ص6.

8- سويدان، محمد خطاب سويدان، مرجع سابق.

9- كمال، عبد السلام, (2018), "**الحضارة الإسلامية, ثقافة وفن وعمران**". مصر، بروج للنشر والتوزيع, ص189.

10- محاسيس، نجاة سليم، (2014), "**مفاتيح علم التاريخ**", عمان، الأردن، دار زهران للنشر والتوزيع, ص122.

11- بن نبي، مالك، (2000), **مشكلة الثقافة**، دمشق، دار الفكر, ص ص90 -91.

12- برغوث، الطيب، (1993), "**موقع المسألة الثقافية من استراتيجية التجديد الحضاري عند مالك بن نبي**"، الجزائر، دار الينابيع للطباعة والنشر, ص14.

13- نفس المرجع، ص 14.

14- السباعي، مصطفى، (1999)، **من روائع حضارتنا**، الرياض، دار الورق، ص38.

15- القرضاوي، يوسف، التشريع الإسلامي ..أهميته وضوابطه، (2007، 10أذار) (https://www.al-qaradawi.net/node/4300)، تاريخ التصفح:(2020/09/26. الساعة 12 والدقيقة 54)

16- السباعي، مصطفى السباعي، مرجع سابق، ص80.

17- الخطيب، عمر عودة، (1979)، **لمحات في الثقافة الإسلامية**، ط3، بيروت، مؤسسة الرسالة، ص13.

18- بدح، أحمد محمد، مزاهرة، أيمن سليمان، بدران، زين حسن، (2019)، **الثقافة الصحية**، ط7، عمان، الأردن، دار المسير، ص14.

19- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، (1423هـ)، **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان أبو عبيدة، ط1، الرياض، دار ابن الجوزي، المجلد4، ص337.

20- بدح، أحمد محمد وآخرون، مرجع سابق، ص16.

21- القضاة، عبدالحميد، (2017، 03مايو)، لأمراض المنقولة جنسيا، https://shanti.jordanforum.net/t15268-topic ، تاريخ الصفح: 2020/09/26. الساعة: 01: الدقيقة: 20).

22- إسلام ويب، (2012، 27مايو)، ما ملأ ابن آدم وعاء شرًا من بطنه،https://www.islamweb.net/ar/article/175783. تاريخ التصفح:(2020/09/26. الساعة 01. الدقيقة 40).

23- بن عاشور، محمد الطاهر، (1984)، **تفسير التحرير والتنوير**، ج2، تونس، الدار التونسية للنشر، ص115.

24- روسيا اليوم الاخبارية، (2017، 01 كانون الأول)، ارتفاع عدد المصابين بالإيدز في العالم، https://arabic.rt.com/health/913026. تاريخ التصفح:(2020/09/26. الساعة: 00. الدقيقة: 50)

25- الفلاحي، محمود، (2019، 10يونيو)، أثر الحضارة العربية في الفكر الأوربي، https://www.azzaman.com، تاريخ التصفح:(2020/09/30. الساعة: 23. الدقيقة 17).

26- الخطيب، عمر عودة، مرجع سابق، ص19.

27- صبر،انتظار جاسم، (2019)، خصائص مدن العصور الوسطى في أوربا الغربية، الأنبار، العراق، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإنسانية، الأنبار، العراق، المجلد1 العدد 3، 172-195.

28- المصباحي، حسونة، (2015، 01 تشرين الأول)، هل كانت القرون الوسطى مظلمة حقاً، ttps://alarab.co.uk، تـ التصفح(2020/09/25 الساعة 20 و24 دقيقة).

29- السباعي، مصطفى، مرجع سابق، ص271.

30- عاشور، سعيد عبد الفتاح، (1963)، **المدينة الإسلامية وأثرها في الحضارة الأوربية**، القاهرة، دار النهضة العربية، ص41.

31- كنعان، عاصم اسماعيل، السامرئي، بهار أحمد جاسم، (2015)، الحياة الاجتماعية في أوربا في العصور الوسطى الإسلامية، مجلة ديالي، العراق، العدد 67، 282-310

32- هونكه، زيغريد، (1993)، **شمس العرب تسطع على الغرب**، ترجمة: فاروق بيضون، كمال دسوقي، ط8، بيروت، دار الجيل، ص ص 225،226.

33- عاشور، سعيد عبد الفتاح عاشور، المدينة الإسلامية وأثرها في الحضارة الأوربية، ص146.

34- القضاة، عبدالحميد، مرجع سابق.

35- القضاة، عبدالحميد، نفس المرجع.

36- هونكه، زيغريد، مرجع سابق، ص ص274،275.

37- السباعي، مصطفى، مرجع سابق، ص58.

38- لوبون، جوستاف، (2012)، **حضارة العرب**، ترجمة: عادل زعيتر، القاهرة، مؤسسة هنداوي، ص30.

39- نفس المرجع، ص ص586، 587.

40- هونكه، زيغريد، مرجع سابق، ص55.

41- الفلاحي، محمود، مرجع سابق.

42- عاشور، سعيد عبد الفتاح، المدينة الإسلامية وأثرها في الحضارة الأوربية، مرجع سابق، ص154.

43- وتس، شلدون، (2010)، **الأوبئة والتاريخ (المرض والقوة والإمبريالية)**، ترجمة: أحمد محمود عبد الجواد، القاهرة، المركز القومي للترجمة، ص ص 28،29.

44- عاشور، سعيد عبد الفتاح، المدينة الإسلامية وأثرها في الحضارة الأوربية، مرجع سابق، ص158.

45- وتس، شلدون، مرجع سابق، ص ص 27،28.

46- هونكه، زيغريد، مرجع سابق، ص 225.

47- عاشور، سعيد عبد الفتاح، المدينة الإسلامية وأثرها في الحضارة الأوربية، مرجع سابق ص 43.

48- كنعان، عاصم اسماعيل، السامرئي، بهار أحمد جاسم، مرجع سابق، ص294.